جامعة البصرة
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون التشكيلية
الدراسات العليا
الماجستـــــير

اسم التدريسي : أ.م.د اسماء سمير
اسم المادة : نظريات التطور في الفنون
عدد الوحدات : (١)
تسلسل المحاضرة : الثانية ٢٠٢٤/٢/٢٧
عنوان المحاضرة : مفهوم التطور ونظرية داروين

مفهوم التطور ونظرية داروين ((الانتخاب الطبيعي والانتخاب الصناعي))

البقاء ليس للأقوى ولا للأذكى البقاء للأكثر استجابة للتغيير. ((تشارلز داروين))

تعد النظرية التطورية لداروين احد النظريات التي حققت جدلاً واسعاً على المستويين العلمي والعقائدي ، بوصفها نظرية تبحث في ايجاد تفسير لاصل الانسان بل اصل الحياة ونشأتها ، ولما كان داروين يبحث في الاصول فهو يقترح التحدر كمفهوم لنشوء انواع الكائنات الحية ، وان هذه الكائنات ليست ثابتة بل متغيرة في سماتها الوراثية على مر الزمن مؤكداً في " مؤلفه اصل الانواع سنة ١٨٥٩ ان الكائنات الحية ليست ثابتة وانما تنحدر الانواع التي يمكن ان نعتبرها من نفس الجنس من سلالة انواع اخرى على اساس نفس مبدا التنوع الذي يسري على كائنات نفس النوع ففي دراسة الكائنات الحية من ناحية علاقاتها العضوية وتوزيعها الجغرافي وتعاقبها الجيولوجي ثمة نتيجة مهمة وهي انها لم تخلق بشكل منفصل وانما انحدرت من انواع اخرى من الكائنات لذا فجميع الكائنات متطورة وتشد انواعها واجناسها بعضها الى بعض صلات قربى وطيدة وعلاقات بايولوجية محددة وانها لم تصل الى ما هي عليه في الوقت الحاضر وبنائها الحالي الا بعد تطورات كثيرة وتحولات عديدة في شكلها الخارجي وبنيتها الداخلية منذ ازمان سحيقة وعبر ملايين السنين " [١] وفقاً لتلك الدراسات جاءتعريف داروين للتطور على انه تغير الانواع عبر الزمن ويتعلق بشكل اساسي بتغير الجنين اثناء نموه[٢] .

الانتخاب الطبيعي : وهو عملية انتقاء الطبيعة للصفات الاقوى وازالة الاضعف وفقاً لقانون الصراع الذي يحكم الوجود ، ويفسر داروين هذه العملية ابتداءً من قانون الصدفة ، ذلك ان الحياة والكون هما نتيجتان للصدف وما التطور الا سلسلة من الصدف وبينما تزعم نظرية التطور بظهور الاحياء المتعددة عن طريق الصدفة فأنها توضح انقسام الاحياء الى الانواع الموجودة حاليا عن طريق الانتخاب الطبيعي ، اذ يرى ان التغيرات التي طرات

[١] الشيخ مرتضى فرج : الداروينية ، العتبة العباسة المقدسة ، ط١، ٢٠١٧، ص ١٤
[٢] مايكل ريوس : تشارلز داروين ، تر. فتح الله الشيخ ، م. احمد عبد الله السماحي ، افاق للنشر والتوزيع ، ط. ١، ٢٠١٠، ص٣٠

على الاحياء هي نتيجة الصدف والظروف المختلفة وهذه التغييرات قادت الى ظهور احياء مختلفة ونتيجة للصراع الموجود في الحياة فأن الاقوياء يبقون وينقلون صفاتهم الى انسالهم عن طريق الوراثة بينما تضمحل و تزول الانواع الضعيفة التي لا تثبت امام هذا الصراع وذلك بفعل الانتخاب الطبيعي بين الاحياء [1] وهنا يضيف داروين الى طروحات لامارك رؤية مغايرة فأذا كان الاخير قد فسر اسباب تغيير الكائنات الحية من الناحية الفسيولوجية بتأثيرات البيئة عليها فان الاول اعزى تغيير الكائنات الحية الى التنوعات البسيطة التي تظهر بين بعض افراد النوع الواحد واتي تساعدهم على التكييف مع البيئة

ويمكن تلخيص نظرية داروين باربعة قوانين رئيسية :

قانون الصراع من اجل البقاء وتباينات الافراد :

يفترض داروين هناك خصوبة هائلة في الطبيعة فعدد الكائنات الحية التي تولد يفوق ما تتحمله البيئة الطبيعية لذا تنظم الطبيعة ذاتها من خلال الصراع ومن ثم البقاء والاستمرار للنوع الاقوى واضمحلال وانقراض للنوع الاضعف .

قانون بقاء الاصلح وتباينات الافراد : مع الصراع المستمر يجد بعض الافراد ان الظروف المحيطة بهم ملائمة مع قدراتهم الطبيعية وتساعدهم على البقاء والاستمرار بينما تعاكس الظروف افراد اخرين والامر يرجع بالنهاية الى الفروق الفردية التي توجد داخل كل نوع

قانون الوراثة : تنتقل الصفات الوراثية للافراد الاقوى ومن ثم تكون لهذا الجيل فرصة البقاء وبتكرار عملية الانتخاب والانتقاء لسنين طويلة تنشئ انواع جديدة وتتكيف مع ظروف البيئة وهو ما يسمى اصل الانواع

قانون الانتقاء الطبيعي : وهو القانون الذيترتكز عليه نظرية التطور وخلاصة هذ القانون هي ان الواثة كما تنقل لتباينات تنقلايضا جميع الصفات التي يحملها الاصل الى الفرع اصلية كانت او مكتسبة وهذه الصفات منها النافع كالقوة والصحة والذكاء ومنها الضار كالامراض والعاهات والشذوذ حيث ان الضارة تنتهي بأمرين اما ان تتلاشى بتغلب النافعة عليها او ان تتغلب فتؤدي الى ملاشلة صاحبها بذاته او بنسله .[2]

---

[1] شمس الدين اق بلوت : داروين ونظرية التطور ، تر. اورخان محمد علي ، دار الصحوة ، القاهرة ، د.ت . ص١٨

[2] الشيخ مرتضى فرج : الداروينية، مصدر سبق ذكره ن ص ١٥ – ١٨

الانتخاب الصناعي : وهو عملية انتقاء للصفات المرغوب بها من قبل القائمين بأستأناس الحيوانات وذلك لزيادة فرص تكاثر و إنتاج صفات ظاهرية معينة فبعد ان لاحظ داروين ما توصل اليه القائمون باستئناس الحيوان من ايجاد انواع مهذبة في من الحيوانات البرية الاصل توصل الى ان الطبيعة تقوم بما يقوم به ممن يعملون على تربية الحيوان وذلك على مدى الاحقاب الطويلة من الزمن [١]. ولكن في عمليات الانتخاب الصناعي قد ينتج صفات مرغوبة أو غير مرغوبة ، لان العوامل الطبيعية تعمل جنباً إلى جنب مع العوامل الصناعية، وقد يلغي أحدها تأثير الآخر. اذن يحدث التطور بحسب داروين على اساس مبدأين :

الاول : صناعي عن طريق الاستئناس (انتخاب صناعي)

الثاني : طبيعي عن طريق تنازع البقاء (انتخاب طبيعي)

من خلال ما تقدم يتضح ان المرتكز الاساس للنظرية الداروينية في تفسير الوجود وتغيراته هو عملية صراع وانتقاء يتم من خلالها استمرار انواع معينة بعد اجراء الطبيعة تعديلاتها عليها لتنتج اشكالاً مغايرة في مظهرها وبنائها الداخلي وهنا تدخل البيئة الطبيعية كمحفز فاعل في عملية الانتاج وهذا القانون يسري سواء في الحقل البايولوجي او الاجتماعي والثقافي

ومن ثم فقد تجاذب علماء الاجتماع والثقافة النظرية التطورية لدارون بشكل واسع حتى عرفت بالدارونية الاجتماعية ففهموا ان اصل التطور اختبار طبيعي وتكييف مع البيئة ... وبالتالي اثبت دارون امكانية تطبيق مفهوم الانتخاب الطبيعي في الميادين الاجتماعية والثقافية ففي الثقافة كما هو الحال في الحياة العضوية بدت انماط السلوك والاشكال مثل النظم والمهارات الفنية متغيرة تلقائيا بل وتكافح من اجل البقاء وان اكثرها تكييفاً وان لم يكن بالضرورة افضلها يمكن ان يبقى [٢]

ولو تتبعنا تاريخ الفنون التشكيلية نجده في حركة مستمرة من النمو والتغييرات في بنائه ومظهره تتدخل في هذه الحركة عوامل اهمها البيئة الاجتماعية والطبيعية وبما تضمه من محفزات دينية – سياسية – اقتصادية – ثقافيه معرفية ففي تطبيق لنظرية داروين نجد ان جميع الفنون تحدرت عن الفنون البدائية بوصفها اصل الانواع واول ابجديات الانسان في ايجاد معادلات صورية للطبيعة وهذه بدأت بسيطة دخلت معها في صراع وتنازع الفنون الاغريقية لتضيف عليها تعديلات تكيفاً مع البيئة والارضية المعرفية الجديدة للحضارة الاغريقية بما استدعى اشكالاً مغايرة دخلت بدورها في صراع وتنازع بدأً من فنون الحضارة المينية التي تميزت بنوع من التبسيط الى فنون الحضارة الهلنستية الاكثر تعقيد فثمة فترات زمنية مديدة تخللت هذه الفنون لتدخل كل فترة تعديلات يتم فيها

---

[١]) عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة . ج١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١، ١٩٨٤، بيروت ص٤٧٣-٤٧٤

[٢]) توماس مونرو : التطور في الفنون ، نر. محمد علي ابو درة واخرون ، مز احمد نجيب هاشم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ج١، ١٩٧٢ ، ص ١٩٢

افول صفات واستمرار اخرى لتضعنا امام سلسلة من التنوعات البنائية مخلفةً اشكالاً بل اجناس جديدة من الفنون كالعمارة والنحت بتقنياته وانواعه المختلفة وكذلك الخزف بتقنياته المختلفة فضلاً عن دخول فنون جديدة في مراحل متقدمة كصناعة الحلي ورسوم الجداريات . ولو تتبعنا تطور الشكل البشري منذ الفنون البدائية وحتى الفن الهلنستي سنجد ثمة تغيرات وتحولات بحسب ما تفرضه بيئة كل مرحلة تاريخية من عقائد ومعرفة بما سمح بتكييف بعض الاشكال واستمرارها وافول الاشكال الاضعف

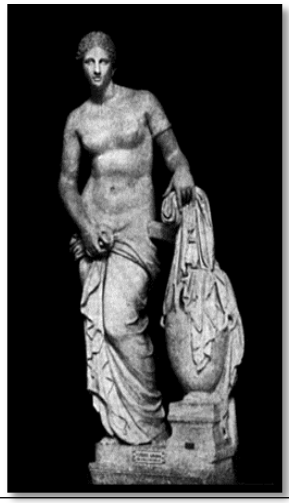

شكل (١)الفنون البدائية شكل (٢) القرن التاسع ق.م شكل (٣) الفرن السابع ق..م شكل (٤) القرن السادس شكل (٥) القرن الحامس